فلنسجدنّ خاضعين لتدابير العناية الالهيَّة ولنحذرنَّ من التنقيب عنها ولنقبل بكل طيبة خاطر ما تقسمهُ لنا من خيرٍ وشرٍّ ولنواصل سفرنا في بحر هذا العالم كيف ما جرت الرياح طالبين الوصول الى تلك الخيرات المعدَّة للاخيار وحدهم والنجاة من الويلات المعدَّة للاشرار وحدهم وذلك في العالم الآتي

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعيّ (تابع لما سبق)

٥ الامم البائدة في لبنان

٢ اليونان

انتقض حبل الاثوريين في الشام (ولبنان معها) بتغلُّب الفراعنة على سوريَّة. ثم تبعهم ملوك اشور الكلدانيُّون وخلف الفرسُ الاشوريين. وكلُّ هذه الدول بعد كسرتها تركت من آثارها شيئاً في بلادنا ولا بُدَّ ان يكون تخلَّف من تلك الامم بعض بقايا امتزجت باهل فينيقية امتزاج الماء بالراح حتى لم يَعُد يمكن افراز هذه العناصر الغريبة عن الاهلين الاصليين. وكان لبنان في عهد كل هذه الدول قليل السكَّان للاسباب التي ذكرناها في مقالاتنا السابقة وان كان عدد المهاجرين اليه لم يزل يزداد يوماً فيوماً بتزاحم السكَّان وحراثة الآكام الواقعة عند منعطف الجبل

ولمَّا كانت اواخر القرن الرابع ظهر ذلك البطل الصنديد والملك العظيم اسكندر ذو القرنين المقدوني فكان اوَّل ما تطاولَ اليه عنقهُ البلاد السوريَّة وكان يملك عليها وقتئذٍ داريوس ملك الفرس فزحف اليها بجنوده بعد ان غلب اعداءهُ في سهول قيليقية قريباً من مدينة ايسُوس فما مرَّ عليه بضعة اشهر حتى فتح سواحل فينيقية وخضعت لهُ دمشق ولم يقم في وجههِ الَّا صور فحاصرها مدَّة الى ان اخذها عنوة في تمُّوز من سنة ٣٣٢

وكان في اثناء محاربة الاسكندر لصور قد اغتال بعض اجلاف اللبنانيين قوماً من اصحاب الملك فقتلوهم. فسار الاسكندر بقسم من عسكرهِ الى لبنان فلم يلقَ في

وجههِ عدوًّا ثم وصل الى البقاع والجبل الشرقيّ فعاد بعد عشرة أيام غانمًا ظافرًا

وما لبث ذو القرنين بعد فتح صور حتى أخضع بلاد فلسطين ومصر ثمَّ سار الى اقاصي المشرق ففتح ما فتح ومات بعد عشر سنوات في بابل سنة ٣٢٣ ق م

فصارت سوريَّة من بعدهِ الى احد قوَّادهِ سلوقوس نيقاطور فتملَّكها وألحق لبنان بها فصار هذا الجبل تحت حكم السلوقيين الى أيام الرومان

وهنا مبحثٌ مهمّ لم نكن لنتعرَّض لهُ لولا انَّ بعض المحدثين استندوا الى حجج واهية ليؤيدوا زعمهم الباطل

ودونك القضيَّة المطلوب بيانها هل يا تُرى لمَّا استولى اليونان على جبل لبنان غلب العنصر اليونانيّ العنصرَ الفينيقيّ بحيث يصحّ القول انَّ اليونان من الامم التي استوطنت لبنان

نجيب على هذا القول بالاجمال أننا بيَّنا غير مرَّة انَّ العنصر المتغلّب على سوريَّة في عهد اليونان كان العنصر الآراميّ لا اليونانيّ (راجع المشرق ٣ : ٢٦٨) . فان صدق ذلك عن سوريَّة عمومًا فهو اصدق واحقّ عن لبنان خصوصًا فانَّ آراميَّة سكَّانهِ في أيام الدولة اليونانيَّة اوضح من النهار

وكأني بالمعترض يستوقفني هنا ليردّ على هذا القول بدليلين على زعمهِ مقنعين اوَّلهما اسماء اعلام الامكنة وثانيهما الكتابات اليونانيَّة في لبنان

نجيب على الاعتراض الاوَّل أننا اذا استثنينا بعض امكنة من سواحل فينيقية او من مستعمرات اليونان (راجع المشرق ٣ : ٢٧٠) لا نكاد نجد اسم قرية في لبنان مشتق من اليونانيَّة بل اكثر الاسماء ان لم نقل كلها آراميّ محض مع بعض اسماء عربيَّة احدث عهدًا وترى المعابد الكبرى نفسها كدير القلعة وأفقا التي فُقدت اسماؤها الآراميَّة لا تعرف لها اسمًا يونانيًّا . امَّا المدن الساحليَّة التي بدل اليونان اسماءها الآراميَّة فانَّها عادت بعد حين الى اسمائها الاصليَّة

امَّا الاعتراض الثاني المستند الى الكتابات اليونانيَّة التي وُجدت في لبنان فانهُ يظهر لاوَّل وهلة اقوى حجَّة وادلّ بيانًا ولكن اذا سبرناهُ بميزان الانتقاد وجدناهُ واهنًا كالاعتراض السابق ولا يثبت البتَّة زعم الحجّ

لا ننكر وجود الكتابات اليونانيَّة في لبنان وقد اسعدنا الحظّ باكتشاف كثير

منها ابرزتاها الى عالم الوجود في الحلّات الاوربيّة . ولكن مجرّد وجود الكتابات اليونانيّة في محلٍّ ما لا يدلُّ على كون اهل هذا المكان من اليونان . نرى اليوم في لبنان عدّة كتابات تركيّة او افرنسيّة على بعض المباني المستحدثة فهل يستنتج احدٌ من هذه الخطوط انّ اهل لبنان من العنصر التركيّ او الفرنسيّ ؟ وكذلك في لبنان عاديّات وكتابات لاتينيّة كثيرة من عهد الرومان فمن يا تُرَى زعم لاجل ذلك انّ اهل لبنان كانوا رومانيين . وغاية ما يُستدلُّ من الامر انّ الرومان ملكوا لبنان او انّ بعض أُسرات منهم احتلّت بعض انحاء الجبل لترويح النفس كما يفعل اليوم كثير من الاوربيين فكذلك الكتابات اليونانيّة انّما تدلُّ على انّ اللغة الرسميّة كانت في ذلك العهد لغة اليونان وانّ بعض وجهاء اللبنانيين جنحوا الى آداب اليونان ولغتهم كما يتفرنج اليوم ابناء الوطن فلا يتكلّمون بغير الفرنسيّة ولا يكتبون الّا بها

فدليل الكتابات وحده لا يجدي اذن شيئاً لبيان عنصر امّةٍ ما اللهمّ الّا بان يضاف الى ادلّة أُخرى تاريخيّة وضعيّة تزيل الشبهات . وقد لحظ ذلك احد علماء عصرنا وهو نُذكره الشهير (١ قال: « انّهُ لا يجوز الاستناد على مجرّد وجود كتابات في احدى اللغات او عدم وجودها للقول بان اهل ذلك البلد كانوا من ذلك العنصر او لا » . مثال ذلك مدينة بيروت التي لم يُلتَ فيها حتى الآن كتابة فينيقيّة افيسوغ ان نقول انّها لم تكن فينيقيّة ؟ كلاّ . وكذلك لبنان سواء من زعم ان اهلهُ كانوا يونان او رومان لوجود كتابات قديمة فيه من عهد هاتين الدولتين

وعلاوةً على ما تقدّم انّنا نرى الكتابات اليونانية المكتشفة في لبنان مشحونةً بالاغلاط مشوّهة بالتصحيفات غير تامّة المعاني وكلُّ ذلك دليل على انّ النُّسّاخ والحفّارين كانوا يرسمون الالفاظ رسماً ماديّاً وهم لا يدركون معانيها (راجع المشرق ٤ : ٦٤٦)

وان قال قائلٌ انّ اعلام الاشخاص المرسومة على هذه الآثار يونانية اجبنا مع اكبر علماء التاريخ اليوناني وهو العلاّمة الشهير مُمسِن (Mommsen) في تاريخه (٢ : « انّ اغلب هذه الاسماء ليست يونانيّة او اذا كانت يونانية تُرى معها الاسم الفينيقيّ او الساميّ الذي كان يُعرَف به الشخص » . وفي هذا القول بيّنة واضحة على انّ اليونانيّة

١) راجع المجلة الالمانيّة الاسيوية ZDMC, 1885, p 333

٢) راجع Rom. Gedichte V, 453

لم تكن سوى مسحةٍ ظاهرة وزيٍّ خارجيٍّ تزيَّا به اهل لبنان حبًّا بالجاه وتشبُّهًا بمتأدبي ذلك العصر

ولعلَّ المعترض يزيد على ما سبق اعتراضًا ثالثًا بقوله: « ان قيام معبودات اليونان مقام آلهة فينيقية والشام دليل على تغلُّب اليونان ». اجبنا ان هذا البرهانَ والحقَّ على طرفي نقيض. فانَّهُ لا يوجد بلدٌ حافظ اهلهُ على معبوداتهِ القديمة مثل لبنان والشام فانَّ الدين الآراميَّ والفينيقيَّ صبر على كل التقلُّبات السياسيَّة الى ان غلبتهُ النصرانيَّة. وكلُّ ما يمكننا ان نسلم بهِ من هذا القبيل انَّ بعض اسماء الآلهة الفينيقية برزت على صورة يونانية في لفظها. وكذلك اطلق الكتبة اليونان واصحاب الامر على هذه الالهة اسماء يونانية فدعوا هذا « جوبتير » وذاك « ابولون » اما الاهلون فحافظوا على اسماء آلهتهم بكل حرص حتَّى انَّ المؤرخ مُنسن السالف ذكرهُ بيَّن في تاريخهِ (ج ٥ ص ٤٥٢) ان اهل سوريَّة لم يختلطوا باليونان الَّا اختلاطًا ضيقًا واثبت ذلك بأنَّهم حافظوا على اديانهم الخصوصيَّة في حلب وافامية وحمص وتدمر. وكذا قل عن دير القلعة حيث شاعت عبادة بعل مرقد. وهذا البعل كان مشهورًا وقد ورد اسمهُ في الكتابات اليونانيَّة على لفظ « جوبتير » لا لكونهِ الهًا يونانيًّا بل مراعاةً للدولة اليونانية واستجلابًا لخاطر اليونان والرومان استدرارًا لعطاياهم وهم يحجُّون اليهِ. ولعلَّ سدَنة بعل مرقد سمَّوهُ ايضًا بهذا الاسم دلالةً على امانتهم للسلطة الرومانية واعتصامهم بحبلها. ولذلك ترى بعل بعلبك وبعل دير القلعة ملقَّبين في الكتابات بالقاب جوبتير رومية العظمى المعروف « بجوبتير كابيتولان » فيُدعيان مثلهُ الاله السامي الاعظم (Jupiter optimus maximus) وكذلك ترى إلهةً ساميَّة ملقَّبة باسم إلهة الرومان « جونون الملكة (١ » (Juno regina)

وقد رسمنا هنا صورة تمثال جوبتير بعلبكَ الذي اكتشفهُ حضرة الاب رتزفال في دير القلعة لترى كم يختلف الإله الفينيقي عن الإله الرومانيِّ في الصورة والهيئة (انظر الصورة في الصفحة التالية)

واذا عدلت الى هيكل افقا وجدت كذلك عبادة عشتاروت الفينيقيَّة مستترة

(١ Beitrage z. alten Gesch. II, 196

برداء الإلهة الزُّهَرة اليونانية وان كانت كل واحدة مختلفة عن الاخرى. وذلك يظهر من شعارها الذي لا يشبه في شيء شعار إلهة اليونان

وما قلناهُ عن العنصر الآرامي في لبنان يصح ايضاً عن لغتهم الدارجة فانها كانت الارامية. وهو رأي المؤرخ الشهير مُمسن اذ قال (ص٢٥٢): «اني اظنّ انّ اللغة الآرامية كانت اللغة السائدة دون غيرها في لبنان على عهد قياصرة رومية». وان نسب احد هذا الكاتب الى الغلوّ والمبالغة ورأى انهُ بخس حقوق اليونانية في الشام تصدّى لهُ احد ائمة العلماء المبرزين وهو نلدكه الالمانيّ الذي ليس فقط يوافق وطنيّهُ مُمسن بل وجد انهُ مقصر في حقوق الآرامية وقد اتى معداقًا لقوله بحجج تثبت شيوع الآرامية بحيث لا يبقى بعدها ريب (١

تمثال المشتري (بل) البلبكيّ في دير القلعة

(١) راجع ZDMG,1885,332-351

ثم ولو سلّمنا بان اللغة اليونانيّة طمست في لبنان آثار اللغة الآرامية فلا ينتج من انّ اصل اللبنانيين يونانيّ . وليست اللهجة وحدها كافية لتعريف الاصل . وانّما ذلك دليل يقتضي تأييدهُ بدلائل أخرى تجلي الحقيقة وتوضحها . فانّ التاريخ ينبئ بوجود امم عديدة تكلّمت بلغة غير لغتها الاصليّة . فانّ اللاتينيّة مثلاً درجت بين شعوب شتّى لم يكن بينها ادنى علاقة . وقس عليهِ العربيّة وغيرها

وخلاصة القول انّ العنصر اليونانيّ كان دائماً في لبنان عنصراً زهيداً لا يُعبأ بهِ . ونستسمح القارئ عذراً على أنّنا اطلنا القول في هذه القضيّة التي لا يختلف فيها اثنان بين علماء العاديّات (ستأتي البقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

VARIÉTÉS SINOLOGIQUES, n° 20

La stèle chrétienne de Si-ngan-fou

3me *partie, par le P. H. Havret s. j. Chang-hai* 1902 p. 92

الكتابة النصرانيّة المكتشفة في سِنْغَنْفو

وصفنا في العدد الثاني من سنتنا الجارية (ص ٩١) كتاباً حديثاً وضعهُ الاب هَفرت اليسوعيّ فنشرهُ في شنغاي من حواضر الصين ولمّا انتهى من طبعهِ فجأتهُ المنيّة وكانت وفاتهُ ضربة لازبة على الدروس الصينيّة التي كان يُعدُّ المرحوم من فحولها المبرّزين . وما زاد المستشرقين تأسُّفاً عليهِ أنّهُ لم ينجز كتاباً مطوّلاً باشر بطبعهِ بحث فيهِ بحثاً مدقّقاً عن كتابة شهيرة اكتُشفت في بلاد الصين في اواسط القرن السابع عشر في مدينة سِنْغَنْفو مكتوبة بالصينيّة والسريانيّة يرتقي عهدها الى القرن الثامن للمسيح وهي من آثار القساطرة الذين اتوا بلاد الصين فبشّروا بالايمان المسيحيّ وعمّروا كنائس لنحلتهم . وهذه الكتابة انتشر خبرها في اوربّة فاسهب العلماء في وصفها فمنهم من صدّق ومنهم من كذّب وقد ذكرها السمعاني في مكتبتهِ الشرقيّة . فاب هفرت اعاد النظر في هذه الكتابة ورسمها رسماً جديداً وانتقد كلّ ما كتبهُ عنها العلماء وبين صحّتها بحيث لم يُبقِ ريباً لمستريب وكتابهُ اكمل واصدق ما وُضع في هذا الشأن وكان قد ابرز من عملهِ جزئين